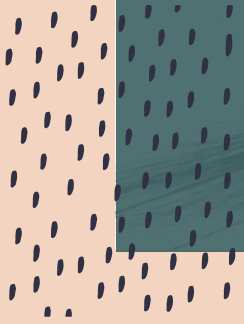




الواحد بالعين (الواحد بالعدد)



معنى الواحد بالعين في اللغة:

العين من الألفاظ المشتركة، التي تحتل معانٍ كثيرة متغايرة، وأقرب المعاني للمعنى الاصطلاحي: أن العين هي حقيقة الشيء ونفسه وشخصه.

معنى العدد في اللغة:

العدّ إحصاء الشيء، والعدد مقدار ما يعد.

معنى الواحد بالعدد في الاصطلاح:

هذا مصطلح حادث لم يرد في الكتاب ولا في السنة، نشأ عند الفلاسفة، ثم استخدمه بعدهم المتكلمون.

يقول الآمدي: "فأما الواحد بالعدد مطلقاً، ويسمى الواحد بالذات فعبارة عما لا يقبل الانقسام والتجزئة في نفسه".



الواحد بالنوع

معنى الواحد بالنوع في اللغة:

النوع كلمة تدل على طائفة من الشيء مماثلة له،
والنوع أخص من الجنس.

تعريف الواحد بالنوع في الاصطلاح:

مصطلح الواحد بالنوع لم يرد في الكتاب ولا في السنة، وأول من استخدمه الفلاسفة، ثم المتكلمون من بعدهم، كما استخدمه أهل السنة للرد عليهم.

قال الآمدي: "وأما الواحد بالنوع، فقد يقال على ما كان تحت كلي هو نوع له؛ كما يقال على زيد وعمرو وهما واحد بالنوع".

وقد اضطرب مفهوم الواحد بالنوع، والواحد بالعدد على بعض الطوائف، مما أدى إلى أقوال فاسدة في توحيد الربوبية؛ ومن هذه الطوائف:

- أصحاب القول بوحدة الوجود، حيث اشتبه عليهم وجود الخالق بوجود المخلوق حتى ظنوا وجودها وجوده، وذلك أن الموجودات تشترك في مسمى الوجود، فرأوا الوجود واحدًا بالعين، ولم يفرقوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع.

- **الأشاعرة والكلابية ومن وافقهم في قولهم إن الأمر هو عين الخبر والنهي، حيث اشتبه عليهم الكلام فظنوه واحدًا لا أنواع له، وأن الأمر والنهي والخبر صفات له، واعتقدوا أن الكلام واحد بالعين لا بالنوع، مما أفضى بهم إلى هذا القول الفاسد.**



الوحدة في الأفعال

معنى الأفعال في اللغة:

الفعل إحداث الشيء من عمل ونحوه.

معنى توحيد الأفعال عند المتكلمين:

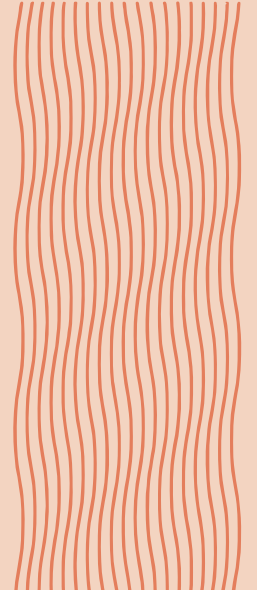
هذا المصطلح لم يرد في الكتاب ولا في السنة، وعامة المتكلمين يذكرونه كنوع من أنواع التوحيد عندهم، فهم يقولون: إن الله واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له، وهذا الأخير هو توحيد الأفعال، وهو أشهر الأنواع عندهم، ومعناه كما يقول الرازي: "وأما أنه واحد في أفعاله فهو أنه ليس في الوجود موجود، يكون مبدئًا لجميع الممكنات، إما بغير واسطة، وإما بواسطة، إلا هو".

وينتقد أهل السنة منهج المتكلمين في توحيد الأفعال من جانبين:

الأول: إطالتهم في تقرير هذا التوحيد، والاستدلال له، مع أن الخلق مفطورون على الإقرار بوحدانية الله وربوبيته؛ مؤمنهم وكافرهم، بل ويظن المتكلمون أن هذا هو التوحيد المطلوب، وأنه معنى لا إله إلا الله، ومع اهتمام المتكلمين بتوحيد الأفعال، أهملوا توحيد الألوهية والعبادة، مع أنه المقصود الأعظم للرسالة.

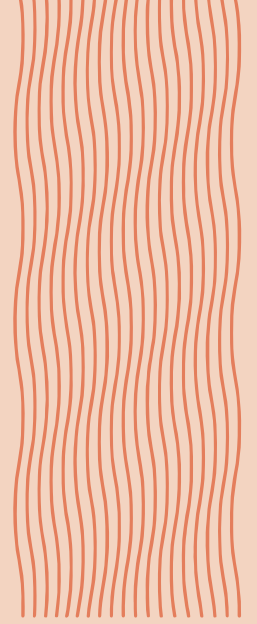
الثاني: اعتقاد متكلمي الأشاعرة والصوفية أن تحقيق توحيد الأفعال يكون بنفي الأسباب والقول بالجبر.

الفصل الثاني: ألفاظ أدلة توحيد الربوبية ومصطلحاتها



مقدمة:

لما كانت طرق معرفة الله والإقرار به، كثيرة متنوعة، صارت كل طائفة من النظار تسلك طريقاً إلى إثبات معرفة الله، وقد تنوعت هذه الطرق، بعضها موافق لطريقة القرآن، وبعضها محدث مبتدع، أحدثها الفلاسفة والمتكلمون، وقد طعن فيها جمهور العقلاء، وبيّنوا فسادها، وعدم إيصالها للمطلوب، وأن الأدلة الواردة في القرآن فيها غُنية عن تلك الطرق.



الدليل

معنى الدليل في اللغة:

المرشد، والموضح، والمبين.

معنى الدليل في الشرع:

ورد لفظ الدليل في القرآن الكريم، وورد الفعل منه في القرآن والسنة، وهو بمعنى الدليل في اللغة.



معنى الدليل في الاصطلاح:

يعرف المتكلمون الدليل بعدة تعريفات، تدور بمجملها على أن الدليل: هو ما أمكن أن يُتَوَصَّل بصحيح النظر فيه إلى معرفة المطلوب، أو أنه ما يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، ويتفق أهل السنة مع المتكلمين في تعريف الدليل.



أما عند الفلاسفة والمنطقيين فيطلق الدليل مرادفًا للبرهان وهو القياس المركب من مقدمتين يقينيتين، وقد يطلق الدليل مرادفًا للقياس وهو حجة مؤلفة من قضيتين يلزم عنها لذاتها مطلوب نظري، وقد يطلق الدليل مرادفًا للحجة فهو معلوم تصديقي موصل إلى مجهول تصديقي، والحجة تنقسم إلى القياس والاستقراء والتمثيل، والفلاسفة يحصرون الدليل في هذه الثلاثة.

الرد على الفلاسفة:

حصر الفلاسفة الدليل في القياس، والاستقراء، والتمثيل، وقالوا: إن العلم المطلوب لا يحصل إلا بمقدمتين، لا يزيد ولا ينقص، ومن وجوه الرد عليهم:

أولاً

أن هذا الذي قالوه إما أن يكون باطلاً، وإما أن يكون تطويلاً يبعد الطريق على الطالب المستدل.

ثانيًا

بطلان حصر الأدلة في القياس والاستقراء، والتمثيل،
وأنه حصر لا دليل عليه، بل هو باطل.

ثالثًا

قولهم إن الاستدلال لا بد فيه من مقدمتين، لا يزيد ولا
ينقص، قول لا دليل عليه، بل هو باطل.

رابعًا

أن الضابط في الدليل أن يكون مستلزمًا للمدلول، فكل ما كان مستلزمًا لغيره، أمكن أن يستدل به عليه فإن كان التلازم من الطرفين، أمكن أن يستدل بكل منهما على الآخر.

خامسًا

أن لفظ البرهان لفظ شرعي، ورد في آيات كثيرة، وهو الدليل القطعي، وتخصيصه بمقدمتين غير صحيح كما سبق، كما قد يطلق البرهان على ما يفيد العلم اليقيني، وإن لم يكن قياسًا، حيث إن لفظ البرهان في اللغة أعم من ذلك، كما سمى الله آيتي موسى برهانين.

العلم الضروري

معنى العلم في اللغة:

العلم هو نقيض الجهل، والعلم بالشيء الشعور به، ومعرفته.

معنى الضروري في اللغة:

يعني الاحتياج والاضطرار، ولم يرد مصطلح العلم الضروري بهذا التركيب في كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

معنى العلم الضروري في الاصطلاح:

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "حد العلم الضروري، وهو الذي يلزم نفس العبد لزومًا لا يمكنه معه دفعه عن نفسه".

العلم النظري

معنى العلم والنظر في اللغة:

العلم: سبق تعريفه، أما النظر: هو تأمل الشيء ومعاينته، وقد يكون بالقلب بمعنى التفكير في الشيء، كما يعني الانتظار، ولم يرد مصطلح العلم النظري بهذا التركيب في كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

معنى العلم النظري في الاصطلاح:

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "العلم النظري الكسبي هو ما يحصل بالنظر في مقدمات معلومة بدون نظر"، والعلم النظري يعتمد على العلم الضروري.

الشك

معنى الشك في اللغة:

هو نقيض اليقين، وهو الارتياب، كما يعني اللزوم والالصوق.

معنى الشك في الشرع:

ورد لفظ الشك في كتاب الله في خمس عشرة آية، وهو يعني كما في اللغة الارتياب وعدم اليقين، والاضطراب، والبعد عن العلم، وورد لفظ الشك في السنة.

معنى الشك في الاصطلاح:

تعريف الشك في الاصطلاح موافق لمعناه في اللغة، والقرآن، وإن اختلفت العبارات، فالشك يطلق على مطلق التردد سواء كان لأحد الأمرين دلائل تؤيده أم لا، ويطلق على ما دون طمأنينة القلب، وعلى الخواطر التي لا تثبت، فالشك درجات مختلفة.

ويرد لفظ الشك في كتب أهل الكلام عند الحديث عن أول واجب على المكلف، وهم متنازعون في الشك هل هو أول ما يُبدأ به أم لا.



والقول بالشك قبل الاعتقاد باطل، ومن وجوه بطلانه أنه مبني على أصليين:

الثاني

أن النظر يضاد العلم، فإن الناظر طالب للعلم، فلا يكون في حال النظر عالمًا.

الأول

أن أول الواجبات النظر المفضي إلى العلم.

وكلا الأصليين باطل.

المعرفة

معنى المعرفة في اللغة:

تدل على السكون إلى الشيء، والطمأنينة إليه.

معنى المعرفة في الشرع:

لم يرد مصطلح المعرفة بهذا اللفظ في كتاب الله، وورد الفعل عرف بتصريفاته في الكتاب والسنة. وقد وصف الله نفسه بالعلم ولم يصف نفسه بالمعرفة، وأمر عباده أن يعلموا أنه إله واحد، كما أمرهم بالعلم بصفاته، وليس مجرد المعرفة.

الفرق المعنوي بين لفظ المعرفة والعلم فمن وجوه:

أحدها: المعرفة تتعلق بذات الشيء، والعلم يتعلق بأحواله، فالمعرفة تشبه التصور، والعلم يشبه التصديق، ولذلك جاء الأمر في القرآن بالعلم دون المعرفة.

الثاني: المعرفة تشبه الذكر للشيء، وهو حضور ما كان غائبًا عن الذكر.

الثالث: المعرفة تفيد تمييز المعروف عن غيره، والعلم يفيد تمييز ما يوصف به عن غيره.

الرابع: المعرفة علم بعين الشيء مفصلاً عما سواه، بخلاف العلم فإنه قد يتعلق بالشيء مجملاً، وعلى هذا الحد فلا يتصور أن يعرف الله ألبتة.

معنى المعرفة عند المتكلمين:

يذكر المتكلمون المعرفة كمرادف للعلم، وقد اختلف أهل الكلام في أول واجب على المكلف، هل هو المعرفة، أو النظر، أو الشك؟ فقال بعضهم أن أول واجب هو المعرفة، وقال بعضهم المعرفة لا تحصل إلا بالنظر فيكون النظر أول واجب، فقد أعطوا المعرفة هذه المكانة، رغم أنها بهذا اللفظ لم ترد في الكتاب أو السنة.





ومن وجوه ضعف قولهم:

أولاً: أنه لم يرد مصطلح المعرفة، بهذا اللفظ، في الكتاب أو السنة، ولم يرد الأمر بها.

ثانياً: أن مجرد المعرفة بالصانع لا يصير به الرجل مؤمناً، بل ولا يصير مؤمناً بأن يعلم أنه رب كل شيء، حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

ثالثاً: أن القول بأن المعرفة لا تحصل إلا بالنظر في طريقة الأعراض، والتركيب، ونحو ذلك من الطرق المبتدعة قول باطل، فالرسول ﷺ لم يأمر أحداً بهذه الطرق، بل القرآن وصف بالعلم والإيمان من لم يسلك هذه الطرق.

النظر

معنى النظر في اللغة:

سبق تعريف النظر في اللغة وأنه تأمل الشيء بالعين، ومعاينته، وقد يكون بالقلب، بمعنى التفكير في الشيء، كما يعني الانتظار.

معنى النظر في الشرع:

جاء الفعل نظر بتصرفاته في القرآن الكريم على عدة معانٍ، منها: نظر العين، الانتظار، كما ورد لفظ النظر والفعل منه في السنة كثيرًا، فالنظر في الشرع جاء بمعاني النظر في اللغة.

معنى النظر عند المتكلمين:

النظر عند المتكلمين هو التفكير، والانتقال من المقدمات العلمية أو الظنية إلى ما يترتب عليها من نتيجة علمية أو ظنية، ويرى كثير من المتكلمين أن النظر في طريق معرفة الله أول واجب على العبد، وهم يقيدون النظر بدليل حدوث العالم، وقد خالف أهل السنة المتكلمين في إيجابهم النظر، وجعله أول واجب، ودلّوا على بطلان مذهب المتكلمين من وجوه عدة منها:

أولاً

أن النبي ﷺ لم يدعُ أحدًا من الخلق إلى النظر ابتداءً، ولا إلى مجرد إثبات الصانع، بل أول ما دعاهم إليه الشهادتين، وبذلك أمر أصحابه، والقرآن ليس فيه أن النظر أول الواجبات ولا فيه إيجاب النظر على كل أحد، وإنما فيه الأمر بالنظر لبعض الناس.

ثانيًا

أن هؤلاء المتكلمين بنوا دينهم على النظر، وهو لفظ مجمل، يدخل فيه الحق والباطل، فالحق هو النظر الشرعي، وهو النظر فيما بعث به الرسول من الآيات والهدى.

ثالثًا

أنه قد تنازع النظائر في مسألة وجوب النظر، المفضي إلى معرفة الله تعالى على ثلاثة أقوال؛ فقالت طائفة من الناس إنه يجب على كل أحد، وقالت طائفة لا يجب على أحد، وقال الجمهور إنه يجب على بعض الناس دون بعض.

رابعًا

أنه لما كان في لفظ النظر إجمال كثير اضطراب الناس في هذا المقام، وتناقض من تناقض منهم، فيوجبون النظر لأنه يتضمن العلم، ثم يقولون النظر يضاد العلم، فكيف يكون ما يتضمن العلم مضافًا له لا يجتمعان؟

خامسًا

أن إيجاب النظر مطلقًا، غير إيجاب النظر في الطريق المعين؛ كطريقة حدوث الأعراض ولزومها للأجسام، فإن هذه لا يقول بوجوبها على المسلمين أحد من الأئمة الذين يعرفون ما جاء به الرسول ﷺ ويتبعونه.

سادسًا أن كثيرًا من المتكلمين قد تراجعوا في نهاية الأمر عن إيجاب النظر، وهذا من أدلة بطلانه أيضًا، إذ تراجعهم عن إيجابه يدل على أنه لم يحصل المقصود.

التسلسل

معنى التسلسل في اللغة:

التتابع والاتصال والامتداد.

معنى التسلسل في الاصطلاح:

لفظ التسلسل من الألفاظ المجملة التي لم ترد في الشرع بل أحدثها المتكلمون ويراد به عند الإطلاق: "ترتيب أمور غير متناهية".



ويختلف أهل السنة والمتكلمون والفلاسفة في نظرتهم إلى أنواع التسلسل وما يجوز منه، وما يمتنع، فعند التقييد ينقسم لفظ التسلسل إلى ثلاثة أنواع: واجب و ممتنع وممكن، وتفصيلها كما يلي:

النوع الأول

التسلسل الممتنع وهو التسلسل في المؤثرات، والفاعلين، والعلل، وهذا باطل بصريح العقل.

النوع الثاني

التسلسل الممكن وهو التسلسل في المفعولات، والآثار المتعاقبة، وهو التسلسل في الحوادث، وقد وقع فيه خلاف، والناس فيه على ثلاثة أقوال:

الأول:

قيل يجوز مطلقًا، وهذا قول أئمة السنة والحديث، وأساطين الفلاسفة.

الثاني:

أنه لا يجوز لا في الماضي ولا في المستقبل، وهو قول الجهم بن صفوان، وأبي الهذيل العلاف.

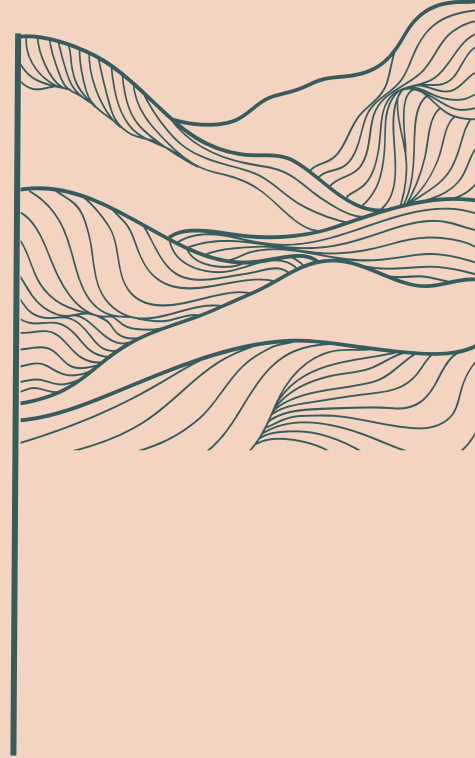
الثالث:

أنه يجوز في المستقبل دون الماضي، وهو قول أكثر أتباع جهم، وأبي الهذيل، من الجهمية والمعتزلة والأشعرية والكرامية ومن وافقهم .

وقد منع المتكلمون التسلسل في المفعولات من طرف الأزل، وقالوا باستحالته، وقد اعتقدوا أن القول بجوازه يفضي إلى القول بقدم العالم، وقد اعترض عليهم في قولهم بجواز دوام الحوادث في المستقبل دون الماضي، بأنه لا دليل لهم على التفريق بينهما.

وأما الفلاسفة فقالوا بجواز تسلسل المفعولات، بل قال بعضهم إن ذلك واجب؛ وأخذوا من ذلك دليلاً للقول بقدم العالم، ولم يفرقوا بين الآحاد والنوع.

وكلا القولين باطل، وقد رد عليهم أهل السنة وبيّنوا أن ذلك لا يعني القول بقدم العالم، فكل ما سوى الله تعالى مخلوق حادث بعد أن لم يكن وإن تسلسل في الأزل والأبد.



النوع الثالث

التسلسل الواجب وهو ما دل عليه العقل والشرع من دوام أفعال الرب تعالى في الأبد، وأنه كلما انقضى لأهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيمًا آخر لا نفاذ له، وكذلك التسلسل في أفعاله سبحانه من طرف الأزل، وأن كل فعل مسبوق بفعل آخر، ولم يكن ربنا تعالى قط في وقت من الأوقات معطلاً عن كماله من الكلام والإرادة والفعل.

الدور

معنى الدور في اللغة:

يعني الإحداق بالشيء، والاستدارة، والرجوع إلى
الموضع الذي ابتداءً منه.



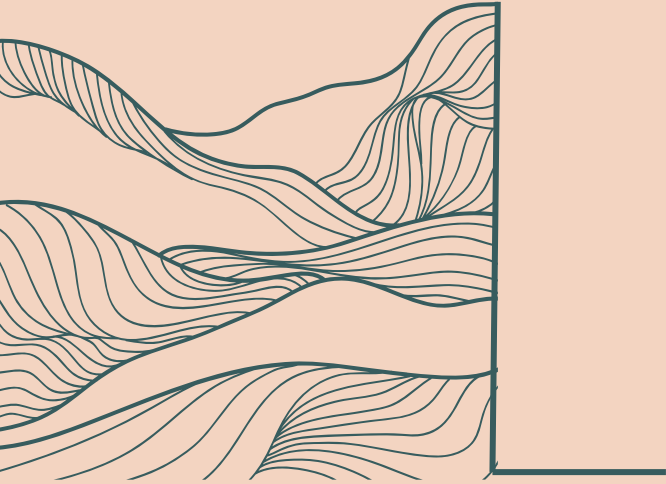


معنى الدور في الاصطلاح:

لم يرد هذا المصطلح في الشرع، والمقصود به: توقُّف كل واحد من الشيئين على الآخر، وهو نوعان كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله:

أحدهما: الدور القبلي السبقي، مثل: أن يقال لا يكون هذا إلا بعد ذلك، ولا يكون ذلك إلا بعد هذا، فهذا ممتنع باتفاق العقلاء.

الثاني: الدور المعني الاقتراني؛ مثل أن يقال لا يكون هذا إلا مع ذلك، لا قبله ولا بعده، فهذا جائز، كما إذا قيل لا تكون الأبوة إلا مع البنوة.



فالمحال هو دور التقدُّم؛ لاستلزام تقدُّم الشيء على نفسه،
وأما دور المعية فليس بمحال، بل جائز واقع؛ لأنه لا
يقتضي إلا حصولهما معا في الخارج أو الذهن.